

مجمع الأمثال

2113 - صَحِيفَةُ الْمُتَلَمَّسِ .

قال المفضل : كان من حديثها أن عمرو بن المنذر بن امرء القيس كان يُرَشِّحُ أخاه قابوس - وهما لهند بنت الحارث بن عمرو الكندي آكل المرار - ليملك بعده فقدمَ عليه المتلمس وطَرفة فجعلهما بهده في صحابة قابوس وأمرهما بلزومه وكان قابوس شاباً يعجبه اللّهو وكان يركب يوماً في الصيد فيركضُ ويتصيّد وهما معه يركضان حتى رجعا عشية وقد لَغبا فيكون قابوس من الغد في الشراب فيقفان بباب سرادقه إلى العشي وكان قابوس يوماً على الشراب فوقفا ببابه النهارَ كلَّه ولم يصلا إليه فضَجَرَ طرفة وقال :
فَلَايَتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو ... رَعُوثًا حَوَّلَ قُبَّاتِنَا تَخُورُ .
مِنَ الزَّمَرَاتِ أَسْدِلَ قَادِمَاهَا ... ودرَّتْهُمَا مِرْكَنَةُ دَرُورُ .
يُشَارِكُنَا لَنَا رَخْلَانِ فِيهَا ... وَتَعْلُوهُمَا الْكَبَاشُ فَمَا تَنْدُورُ .
لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ ابْنَ هِنْدٍ ... لَيَخْلِطُ مَلَاكَهُ نُوُكُ كَبِيرُ .
قَسَمَتِ الدَّهْرَ فِي زَمَنِ رَخَى ... كَذَاكَ الْحُكْمُ يَقْصِدُ أَوْ يَجُورُ .
لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرْوَانِ يَوْمٌ ... تَطِيرُ الْبَائِسَاتُ وَلَا نَطِيرُ [ص 400] .

فأما يَوْمُ مُهْنٍ - فَيَوْمٌ سُوءٌ ... يُطَارِدُهُنَّ بِالْخَبِصِّ قُورُ .
وأما يَوْمُ مُنَا فَنَطْلُ رَكْبًا ... وَقُوفًا لَا نَحْلُ وَلَا نَسِيرُ .
وكان طرفة عدواً لابن عمه عبد عمرو وكان كريماً على عمرو بن هند وكان سَمِيناً بادناً فدخل مع عمرو الحمام فلما تَجَرَّدَ قال عمرو بن هند : لقد كان ابنُ عمك طرفة رآك حين قال ما قال وكان طرفة هَجَا عبدَ عمرو فقال :
وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ لَهُ غِنَى ... وَأَنْ لَهُ كَشْحًا إِذَا قَامَ أَهْضَمًا .
تَطْلُ نِسَاءُ الْحَيِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ ... يَقْلُنَّ عَسِيبُ مِنْ سَرَارَةِ مَلَاهِمَا .
له شريتان بالعشيِّ وَشَرِبَةٌ ... مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى أَصَحَّ جَبَسًا مُورَّسَمًا .
كأن السلاح فوق شُعْبَةٍ بَانَةٍ ... تَرَى نَفْحًا وَرَدَ الْأَسْرَةَ أَصْحَمًا .
وَيَشْرَبُ حَتَّى يَغْمُرَ الْمُحْضُ قَلْبَهُ ... فَإِنْ أَعْطَهُ أَتْرُكُ لِقَلَابِي مَجْثَمًا .
فلما قال له ذلك قال عبد عمرو : إنه قال ما قال وأنشده .
فليت لنا مكان الملك عمرو .

فقال عمرو : ما أُصَدِّقُكَ عَلَيْهِ وَقَدْ صَدَّقَهُ وَلَكِنْ خَافَ أَنْ يُنْذِرَهُ وَتَدْرِكَهُ الرَّحِمُ

فمكث غير كثير ثم دَعَا المتلمسَ وطرفَة فقال : لعلكما قد اشتقتما إلى أهلكما وسرَّ كما أن تنصرفا قالا : نعم فكتب لهما إلى أبي كَرَب عاملِه على هَجَر أن يقتلهما وأخبرهما أنه قد كَتَبَ لهما بِحَيَاءٍ ومعروف وأعطى كل واحد منهما شيئاً فخرجا وكان المتلمس قد أَسَنَ فمر بِنَهْر الحَيَرَة على غِلْمان يلعبون فقال المتلمس : هل لك في كِتَابَ بَيْدَا فَإِنْ كَانَ فِيهِمَا خَيْر مَضِيْدَا لَهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا اتَقِينَاه فَأَبِي طرفَة عليه فأعطى المتلمسُ كِتَابَه بعض الغلمان فقرأه عليه فإذا فيه السوأة فألقى كتابه في الماء وقال لطرفَة : أطعني وأَلْقِ كِتَابَكَ فَأَبِي طرفَة ومضى بكتابه قال : ومضى المتلمس حتلىق بملوك بني جَفْدَة بالشام وقال المتلمس في ذلك : .

مَنْ مُبْلَغُ الشُّعْرَاءِ عَنْ أَخَوَيْهِمْ ... زَيْدًا فَتَمْدُقْهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفُسُ .

أَوَدَى الذِّي عَلِقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمْ مَا ... وَنَجَا حِذَارَ حِبَائِهِ الْمُتْلَمِّسُ .

أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورَهُ ... وَجَنَاءُ مُحَمَّرَةِ الْمَدَاسِمِ عِرْمِسُ .
عَيَّرَانَهُ طَبِخَ الْهَوَا جِرُّ لَحْمِهَا ... فَكَانَ زُقَيْدَتَهَا أَدِيمُ أَمْلَاسُ [ص 401] .

أَلْقِ الصَّحِيفَةَ لَا أَبَا لَكَ إِنْزَهُ ... يُخْشَى عَلَايَكَ مِنَ الْحَيَاءِ الذَّقْرِسُ .

ومضى طرفَة بكتابه إلى العامل فقتله .

وروى عبيد راوية الأعشى قال : حدثني الأعشى قال : حدثني المتلمس - واسمه عبد المسيح بن جرير - قال : قدمت أنا وطَرْفَة غلاماً معجباً تائهاً فجعل يَتَدَخَّلُ جُ في مشيه بين يديه فنظر إليه نظرة كادت تقتلعه من مجلسه وكان عمرو لا يبتسم ولا يضحك وكانت العرب تسميه مُضَرَّطَ الحَجَارَة لشدة ملكه وملك ثلاثاً وخمسين سنة وكانت العرب تهابه هيبة شديدة وهو الذي يقول له الذهاب العجلي (واسمه مالك بن جندل بن سلمة من بني عجل ولقب بالذهاب لقوله : .

وما سَيَرُّهُنَّ إِذْ عَلَوْنَ قُرَاقِرًا ... بذي أَمَمٍ وَلَا الذَّهَابُ ذَهَابُ) : .
أَبَى الْفَلَّابُ أَنْ يَأْتِيَ السِّدِيرَ وَأَهْلَهُ ... وَإِنْ قِيلَ عَيْشُ بِالسَّدِيرِ غَرِيرُ .
بِهِ الذِّيقُ وَالْحَمَى وَأَسَدُ خَفِيَّةٍ ... وَعَمْرُو بْنُ هَنْدٍ يَعْتَدِي وَيَجُورُ .

قال المتلمس : فقلت لطرفَة حين قمنا : يا طرفَة إني أخاف عليك من نظرتِه إليك مع ما قلت لأخيه قال : كلا قال : فكتب له كتاباً إلى المكَعْبَر - وكان عامله على البحرين وعمان - لي كتاب ولطرفَة كتاب فخرجنا حتى إذا أنا بشيخ عن يساري يتبرز ومعه كِسْرَة يأكلها

وَيَقْصِرُ الْقَمَلَ فَقُلْتُ : تَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ شَيْخًا أَحْمَقَ وَأَضْعَفَ وَأَقْلَسَ عَقْلًا مِنْكَ قَالَ :
مَا تَنْكُرُ ؟ قُلْتُ تَتَبَرَّزُ وَتَأْكُلُ وَتَقْصِرُ الْقَمَلَ قَالَ : أَخْرَجْتُ خَبِيثًا وَأَدْخِلْتُ طَيِّبًا وَأَقْتُلُ
عَدُوًّا وَأَحْمَقُ مِنْي وَأَوْلَامُ حَامِلٌ حَتْفُهُ بِمِمينه لَا يَدْرِي مَا فِيهِ فَنَبِهَنِي وَكَأَنَّمَا كُنْتُ
نَائِمًا فَإِذَا أَنَا بِغَلَامٍ مِنْ أَهْلِ الْحَرِيرَةِ يَسْقِي غَنِيمَةً لَهُ مِنْ نَهْرِ الْحِيرَةِ فَقُلْتُ : يَا غَلَامُ
أَتَقْرَأُ ؟ قَالَ : نَعَمْ قُلْتُ : اقْرَأْ فَإِذَا فِيهِ " بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ مِنْ عَمْرُو بْنِ هَنْدٍ إِلَى الْمُكَعْبَرِ
إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا مَعَ الْمُتَلَمِّسِ فَاقْطَعْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَادْفِنْهُ حَيًّا فَأَلْقَيْتُ الصَّحِيفَةَ فِي
النَّهْرِ وَذَلِكَ حِينَ أَقُولُ : .

أَلْقَيْتُهَا بِالثَّنْدِيِّ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ ... كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قَطٍِّ مُضَلَّلٍ .

رَضِيْتُ لَهَا لَمَّا رَأَيْتُ مَدَارَهَا ... يَجُولُ بِهِ التَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدْوَلٍ .
وَقُلْتُ : يَا طَرْفَةَ مَعَكَ وَاللَّهِ مِثْلُهَا قَالَ : كَلَّا مَا كَانَ لِي كِتَابٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي عَقْرِ دَارِ قَوْمِي
فَأَتَى الْمُكَعْبَرُ فَقَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَدْفَنَهُ حَيًّا .

يَضْرِبُ لِمَنْ يَسْعَى بِنَفْسِهِ فِي حَيِّئِهَا وَيَغْرِهَا . [ص 402]